في الحلقتين السابقتين ، دار الحوار حول التجربة الثورية والمنظور القومي ، ثم التجربة الثورية والمنظور الديمقراطي .. وفي هذه الحلقة الثالثة والاخيرة ، يتعرض الحوار لمسالة شديدة الاهمية والخطورة بالنسبة للتجارب الثورية في جميع انحاء العالم .. وهي مسالة البيروقراطية التي تنمو على هامش تلك التارب وفي ثناياها .. ثم لا تلبث بعد وقت ان تصبح قوة اساسية في صنع الردة .
وفيما يلي نص الحوار :

حوار صريح مع احد المسؤولين في العراق ③

التجربة الثورية.. وخطر البيروقراطية

بقلم : عدنان بدر

لا شك ان البيروقراطية تقع بين اهم الاخطار المحدقة بالتجارب الثورية . لا سيما في البلدان المتخلفة .. وقد شهدنا في السنوات الماضية عدة اختناقات وارتدادات وقعت فيها انظمة وطنية متحررة في كل من اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية (وفي بعض الاقطار العربية خاصة) ، كان للبيروقراطية دور اساسي فيها .

اما مصادر نشوء البيروقراطية وعوامل نموها فهي عديدة :

● منها التركيب الطبقي في البلدان المتخلفة حيث لم يبلغ التمايز الطبقي درجة واضحة ، وحيث هناك حيز كبير تشغله الطبقات الوسطى ذات المصلحة في التحرر من جهة وذات النطلع البرجوازي من جهة اخرى ، وذات القابلية التسلقية الشديدة ، والسلوكية الفردية المتعارضة مع العقلية الجماعية التنظيمية .

● ومنها ايضا التركيب الاداري لاجهزة الدولة ، وما فيه من تناقضات وتعارضات موروثة من عهود الاقطاع والاستعمار ، وموضوعة بالاصل وفق مصالح وعقليات الطبقات المستغلة (بالكسر) ، فهذا التركيب يتيح فرصا سخية امام تسلق العناصر الوسطية ، وحصولها على منافع ومكاسب خاصة تخلق لديها نزوعا للتخلص من القوانين الثورية الجديدة والعودة الى نظام الاقتصاد « الحر » لاستثمار ما تراكم لديها من راسمال بواسطة تلك المكاسب والمصالح الخاصة التي تكون قد حصلت عليها خلال مشاركتها في التجربة الثورية .

● ومما يساعد على نشوء البيروقراطية ونموها ، ضعف الرقابة الجماهيرية في بعض التجارب ، وطابع الرقابة البوليسية في بعضها ، حيث تصبح اجهزة الرقابة ذاتها مرتعا خصبا للعناصر التسلقية .

هذه الملامح الاساسية لمصادر خطر البيروقراطية عرضناها للرفيق المسؤول ، واضفنا اليها ان غنى القطر العراقي يزيد من فرص نمو هذا الخطر ، وطرحنا عليه سؤالا حول مدى الوعي لهذا الخطر، وطبيعة التحصين في تجربة العراق الثورية ضده . فاجاب بما يلي :

● من المؤكد ان البيروقراطية تشكل خطرا محدقا بالتجارب الثورية ، وهذا الخطر لا يبرز في المراحل الاولى من عمر تلك التجارب ، حيث تكون الادارة ما تزال غير مستقرة ولا مكتملة ، وحيث يكون الحماس الثوري ما يزال في اروع مراحل نقائه .

وهذا الواقع كثيرا ما يصرف الانظار عن هذا الخطر الذي يبدا بالتسلل في المراحل اللاحقة دون ان تكون القيادة الثورية قد تنبهت له مسبقا واقامت التحصين الثوري اللازم في وجهه ..

واذا اخذنا تجربتنا الان ، استطيع القول اننا ما زلنا دون مرحلة المواجهة مع هذا الخطر .. لاننا ما نزال دون استكمال اجهزتنا وكوادرنا الادارية ، لكن هذا لا يعفينا مطلقا من استشفاف الاحتمالات المستقبلية لهذا الخطر والشروع منذ البداية باقامة التحصين اللازم لدرئه .

وهذا التحصين لا بد وان يبنى على اساسين رئيسيين ، هما التنظيم والمراقبة .

● التنظيم :

وهو بناء الاجهزة الادارية : تشريعيا وقانونيا وبشريا على اسس ثورية سليمة .. ويدخل في هذا النطاق :

١ ــ نسف كل التركيب الاداري الموروث ، بكل ما فيه من قوانين واسس وضعت اصلا في خدمة الطبقات المستغلة (بالكسر) ، وبنيت على اساس التعارض بين اعلى الامتيازات للفئات العليا ، وادنى الامتيازات للفئات الدنيا من الموظفين .

وعلى سبيل المثال : اذا اخذنا قوانين الخدمة العسكرية السابقة نجد انها اعطت اقصى الامتيازات والمكاسب للضباط ، والضباط الكبار منهم خاصة ، في حين انها حرمت الجنود وضباط الصف من ابسط حقوق او مكاسب غير الحصول على الراتب ، وهو راتب ضئيل جدا بالنسبة للرواتب الكبيرة التي يتقاضاها الضباط . وهذه القوانين تعود في جذورها الى القوانين الاستعمارية البريطانية في الهند .. في حين ان قوانين الخدمة المدنية تعود الى التشريع العثماني .

ان مثل هذه القوانين بما فيها من تمايز حاد بين مصالح الفئات العليا ومصالح الفئات الدنيا ، دون شك وسط ملائم جدا لولادة البيروقراطية ونموها .

في حين جاء القانون الجديد « قانون الخدمة والتقاعد العسكري » الذي سوف تليه قوانين الخدمة المدنية الجديدة، ليسقف الاسس التمييزية التي ينطوي عليها القانون القديم ، وليصالح بين الحقوق والمكاسب لمختلف الرواتب والفئات، وبقضي على ذلك التعارض الحاد الذي كان قائما بينها ، اكان ذلك من حيث فروق الرواتب ، أم من حيث المكاسب والامتيازات .

وقبل هذا القانون ، جاءت قوانين شباط التي تنظم بجميع وظائف الدولة والقطاع العام ، والتي تضع في جانب اخر من حوانبها للفوارق والتعارضات بين المدينة والريف .

هذا التصدي الثوري على صعيد التشريع والتنظيم ليس الا مقدمة او مدخل لاعادة النظر على ضوء الاسس الثورية بكل ما في الدولة من تشريعات وقوانين .. وهذا ما اكده التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي يشكل المنهاج الرسمي للدولة في ممارساتها لاختصاصاتها كافة .

وقد جاء في التقرير : « ان الموقف الطبيعي من قيام الثورة وتوطدها وتشييدها نظاما ثوريا يعبر عن مصالح الطبقات الكادحة ، ويستند الى نظرية ثورية اشتراكية ديمقراطية ، هو اعادة النظر في القوانين والتشريعات الموروثة ، لتغيير ما يتطلب التغيير واصلاح ما يتطلب الاصلاح ، والغاء ما يستوجب الالغاء » .

٢ ــ هذا من حيث التشريع ، اما من حيث العنصر البشري في الادارة ، فان عملية التسييس والتثقيف هي من المهمات الرئيسية في بناء الادارة الثورية ، وهي تدخل في صلب عملية التحصين ضد الخطر البيروقراطية .

● المراقبة :

الى جانب عمليات التنظيم الاداري (قانونيا وتشريعيا وبشريا) ، تاتي عمليات المراقبة التي تمثل الجانب الاساسي في عملية التحصين ضد البيروقراطية .. ولعمليات المراقبة هذه اشكال متعددة :

١ ــ الاجتماعات الوظائفية الدورية ، حيث يلتقي جميع منتسبي المؤسسة الوظيفية الواحدة في اطار مؤسستهم وقضاياها ، ويتصدون لمشاكلهم ومشكلاتهم بكل صراحة وروح زمالة ، يجري تشجيعها وتنشيطها باستمرار .

٢ ــ المؤسسة النقابية او المهنية : التي تشكل رقيبا شعبيا مباشرا على الاجهزة الادارية ولها سلطة التقرير في جوانب كثيرة من قضايا العمل بالمشاركة مع مجلس النقابة او الاتحاد العام لنقابات العمال.

٣ ــ المنظمة الحزبية داخل المؤسسة والتي تشكل الرقيب الاساسي على جميع ما في المؤسسة من نشاطات .. لكن هذه السلطة لا تمارس بشكل مكاتبي مباشر يحمل في طياته اخطار التسلط وشل العمل الاداري والانتاجي ، واجهاض الكفاءة على حساب الولاء ، بل تقوم بوظيفتها عن طريق الحوار الرفاقي داخل المنظمة ثم التفاعل مع المراتب الحزبية الرفاقي عبر القنوات التنظيمية ووفق الاسلوب الديمقراطي الحزبي .

وفي جميع اجهزة المراقبة هذه تلعب عملية التثقيف السياسي الثوري دورا اساسيا ، في تنشيط فاعليتها الديمقراطية وتطوير ادائها للمهمة الثورية الاساسية من حيث كينونتها النوايات الاساسية للديمقراطية الثورية باطارها المستقبلي العام .

ومع ذلك ــ اضاف الرفيق المسؤول ــ لا نستطيع الجزم المطلق باننا قد اقمنا التحصين الكافي مئة في المئة ضد خطر البيروقراطية . ونقتنا الوحيدة هي اننا على درجة عالية من اليقظة تجاه هذا الخطر واستنباط الوسائل الكفيلة بالتحصين ضده .

وفي الختام .. تقدمنا بالشكر للرفيق المسؤول على هذه الصراحة وعلى هذا الجو الرفاقي الذي اضفاه على الحوار .. ولم يكن له سوى طلب واحد هو عدم الحديث عن اسمه حتى يبقى موضوع الحوار هو القضية الاساسية فيه .. وقد استجبنا لطلبه .

●

نداء من الهلال الاحمر العماني الى القوى المحبة للحرية والحياة ..

في ظل الهجمة الامبريالية على امتنا العربية من محيطها الى خليجها ، وتتركز هذه الهجمة في خليجنا العربي على ارض عمان ، اذ تتعرض الاخيرة لغزو ايراني وحشي بتواطىء اغلب الحكام العرب مع هذا الغزو ويسكتون عنه رغم الابادة التي يتعرض لها سكان المناطق المحررة في عمان ...

ومع اشتداد المعارك في المنطقة الغربية والخسائر الكبيرة التي منيت بها قوات العدوان الايرانية والبريطانية والقابوسية وفشلها في السيطرة على المنطقة المهمة (الشرشتي) بفضل بسالة قوات جيش التحرير الشعبي والميليشيا الشعبية ، الا ان العدو كعادته في كل مكان وزمان ينتقم من السكان الاهلين بقصف مناطق سكناهم في عمليات ابادة واضحة ، حيث تقوم المدفعية الثقيلة الايرانية والطائرات بقذف المئات من القنابل يوميا على تلك المناطق .

وقد اصدر الهلال الاحمر العماني بيانا موجها الى الهلال الاحمر العربي والصليب الاحمر الدولي والى كافة المنظمات والهيئات الانسانية في العالم ، تحدث عن الحرب التي يشنها المستعمرون ضد الشعب العماني في ظفار منذ عشرة سنوات ، ثم الحملة الايرانية الغازية التي بدات .. منذ عامين .

الحملة الاخيرة على المنطقة الغربية

ويتحدث البيان عن حملة الابادة في المنطقة الغربية حيث القتل الجماعي للاطفال والشيوخ والنساء وقصف المساكن والحيوانات بصورة لم يسبق لها مثل خلال السنين العشر الماضية ، واضاف « ان عشرات الالاف من الجنود تساندهم الطائرات التي زج بها الشاه على ارضنا ليفتك بشعبنا دون رحمة وانسانية ، هذه الاعداد الهائلة من الجنود والسلاح في مقابل شعب صغير لا يملك مقابل هذه الامكانيات الهائلة سوى صموده وتصميمه على استمرار النضال حتى يحصل على حقوقه المشروعة والتي قدم من اجلها القوافل الكبيرة من الشهداء من خيرة ابنائه، وسيظل يقدم المزيد من شبابه على مذبح الحرية ، حرية ارضه ، وكرامة وطنه وايمانه بقضيته ... »

ثم يقول البيان : « ان شعبنا في عمان لم يعتد على احد ولم يغزو اراضي شاه ايران الذي يتوسع يوميا على حسابنا وعلى حساب كل الشعوب العربية ، انه فقط يدافع عن حقه في الحياة والحرية والعيش الكريم .. » وبعد ان يتحدث البيان عن حالة المنطقة الغربية والمرض والجوع الذي يفتك فيها اضافة لتنابل العدو ، يتوجه الهلال الاحمر العماني بهذا النداء :

ان شعبنا يطلب العون والدعم من اية هيئة او مؤسسة انسانية في العالم ، اننا نناشد كل من يحب الانسانية والحق والعدل نخاطب ضمائركم الحية ونسمع إرعاقكم صدى ناوهات وانات جرحى ومشوهي هذه الحرب العدوانية والتي تاتي على الاخضر واليابس في بلادنا .

ان الحالة لا تستدعي التريث فهبوا لتسجلوا مواقف انسانية بدعمكم لشعبنا بكل اشكال الدعم المادي والدوائي والعيني لتزيلوا بعض آلام هذه الحملة العدوانية ولتمسحوا بايدي الرحمة بعض جراح هذا الشعب المنكوب .

اننا في انتظار مبادراتكم السريعة في الدعم العاجل .

قرارات هامة للحزب الديمقراطي الكردي اليساري في سوريا

في اوائل هذا العام انعقد المؤتمر الرابع للحزب البارتي الديمقراطي الكردي شارك فيه ممثلون عن جميع هيئات ومنظمات الحزب في الداخل والخارج .. وفي ختام المؤتمر صدر بيان سياسي اوضح فيه خط الحزب للمرحلة المقبلة في كافة المجالات .

وحول الشرق الاوسط اكد المؤتمر على وقوف الحزب الى جانب القوى الوطنية والتقدمية لشعوب المنطقة والمناهضة لمخطط التسوية الاستسلامية الامريكيه ــ الصهيونيه ــ الرجعية ــ ومساندته لقضية الشعب الفلسطيني العادلة ، واكد المؤتمر ايضا على ضرورة استمرارية الثورة الفلسطينيه ...

وحول الوضع العام في سوريا ، فضح المؤتمر الانفتاح الرسمي نحو الراسمالية السورية والعربية والغربية وازدياد الاضطهاد والقمع ضد القوى الوطنية هناك .

وحول وضع الشعب الكردي في سوريا ،طالب المؤتمر بازاله سياسة الاضطهاد القومي الشوفينيه ضد الاكراد واكد على ان مسؤولية تثبيت الحقوق الوطنية والديمقراطية للشعب الكردي لا يتحملها الوطنيون والثوريون الاكراد فحسب بل يتحملها مجموع الاحزاب والقوى الوطنيه العربيه على الساحه السورية وان قضيه الديمقراطية لا تتجزا لان مبدا التاخي والتضامن العربي الكردي هو مبدا شامل ...